أصحابُ الإمام محمّد ناصر الدين الألباني الأوائل

٢٦- مصطفى خَلُّوف

(الداعية النشيط)

- **الاسم والنسبة:**

هو مصطفى بن محمود بن يوسف خَلُّوف النُّعَيمي الحَسَني الحَمَوي ثم الدمشقي، المشهور بكنيته: أبي علي خَلُّوف.

- **مولده وأسرته ونشأته:**

ولد أبو علي عام ١٣٥٧ يوافقه ١٩٣٨م، على الصحيح، والمثبت في السجلات هو ١٩٤٠م، حيث تأخر تسجيله سنتين. وكان مولده في قرية «عقارب الصافي»، في الشمال الشرقي لسَلَمية بحماة، والتي تبعد عن سَلَمية نحو ١٧ كيلا.

توفي والده وعمره ستة أشهر، فنشأ يتيمًا، وكان هو أصغر إخوته، حيث كان عنده ثلاثة إخوة وهم: علي ومحمد وأحمد (وما زال حيًّا)، وأختان وهما: فاطمة وخديجة، ولم يكن أحدٌ من أعمامه وأقاربِ أبيه في القرية.

ولم يلقَ العناية والتعليم اللازمَين له من أحدٍ، غير أنه قد شملته رحمةُ الله، فحُبِّبت إليه الصلاة في المسجد منذ كان صبيًّا، وكان يصلي كما يراهم يصلُّون.

والتحق بمدرسة القرية، ودرس الصفوف الأربعة الأولى فيها، ثم بسبب قسوة أستاذه الضرير هرب من المدرسة، ولم يتابع تعليمه، واشتغل بالزراعة مع إخوته.

وفي ١٦ من شوال ١٣٧٧ يوافقه ١٩٥٨م انتقل إلى دمشق لأداء الخدمة العسكرية الإلزامية بناء على ما في السجلات الرسمية من تاريخ مولده.

- **عمله ومهنته:**

بعد انتقال الشيخ أبي علي إلى دمشق طاب له المقام فيها، فعمل في مصنع النسيج بدمشق (الشركة الخماسية) عدة سنوات مع أخيه أحمد، وكان بعد انتهاء الدوام يبيع على (بسطة)، وفي عام ١٣٩٠ استأجر محلاً في (مساكن بَرزة) شمالي العاصمة، وجعله مطعمًا لبيع الفول والحمص والفلافل، ثم اشتراه بعد، وفي سنة ١٤١٤وبعد سفر ابنه علي حوله إلى محل لبيع العسل والزيت، ثم قام بتأجيره، وترَك العمل فيه.

- **طلبه للعلم ودعوته:**

بعد استقرار الشيخ أبي علي في دمشق حَرَص على حضور الدروس الدينية! فيها، ولازم بعض المشايخ المنتسبين للطريقة الشاذلية، وصار يذكر الله معهم بالرقص والتمايل وتكرار كلمة: (هو هو)، ويتغنَّون بما يزعمون أنه: (العشق الإلهي).

ثم بعد سنتين انتقل إلى الطريقة النقشبندية؛ بسبب إقناع بعض الناس له بأنها ذكرٌ لله بصوت منخفض، وبقي معهم سبع سنين.

ثم اهتدى إلى منهج الحق، وعمل مدة من الزمن مؤذنًا لجامع الخليل في مساكن بَرزة، وتعاون هو والشيخان الجليلان خير الدين وانلي ومحمد عيد العباسي على الدعوة فيه، حتى دبر لهم الصوفية مكيدة لطردهم منه.

ولم يكن أبو علي ممن فُتح له في باب القراءة والمطالعة، وإنما كان يَسمع ويحفظ الكثير من العلم والأخبار، وكان صوته جميلًا بالقرآن، وكان يطوف بسيارته الخاصة على كثيرٍ من القرى والمدن للدعوة إلى الله، وقد رافقه الشيخ الألباني في بعض جولاته.

قصة اهتداء الشيخ أبي علي إلى طريق السلف:

كان لأبي علي خلُّوف صهرٌ (أخو زوجة) يقال له: (علي)، وكان على طريقة السلف ومذهبهم، وكان كلما رأى أبا علي قال له: ما زلتَ تحضر عند (أحمد كفتارو)؟ شيخ الطريقة النقشبندية، فيقول له: نعم، فيُسمعه صهرُه كلامًا غليظًا في حق الشيخ كفتارو.

فكان أبو علي ينزعج بسبب كلام صهره في شيخه، ولكن بدون فائدة، ثم في سنة ١٣٨٩ اجتمع أبو علي خلوف بالشيخ محمد نسيب الرفاعي في القامشلي في بيت صهره (علي) على الفطور، وبسبب تكرار ذمّ عليّ للشيخ كفتارو، أحب أبو علي أن يسأل الشيخَ نسيبًا عنه، وكان الشيخ نسيب ذكيًّا لبيبًا، فقال له أبو علي: أريد أن أسألك سؤالاً، فقال الشيخ: تفضل، قال أبو علي: ما قولك في الشيخ أحمد كفتارو، فأجابه بقوله: هو شيخٌ من الشيوخ، بعضُ كلامه جميل ومقبول، والآخر لا، وكلُّ أحدٍ يؤخذ من كلامه ويرد عليه إلا النبي ﷺ، فأُعجب أبو علي بجوابه.

ثم قال له الشيخ نسيب: أين تقيم؟ فقال: في دمشق، فقال له: هل عندك مانع في أن تحضر دروس شيخٍ محدث في دمشق اسمه: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني؟ فقال أبو علي: لا، ما عندي مانع، فأنا أحب أن أستفيد، فقال الشيخ نسيب: إذن لما ترجع إلى دمشق احضر عنده، فقال: نعم إن شاء الله.

- **صحبته للشيخ الألباني:**

عندما عاد أبو علي إلى دمشق كان الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ مسجونًا في الجزيرة السورية، فانتظر أبو علي عدةَ أشهر حتى خرج الشيخ من السجن، ثم ذهب إليه، وبدأت رحلة النور عنده، وتعرَّف على مذهب السلف، وواظَب على حضور دروس الشيخ الألباني عشر سنوات من عام ١٣٩٠حتى عام ١٤٠٠، (يعني في السبعينيات الميلادية) حيث ارتحل الشيخ الألباني إلى عمَّان.

وكان أبو علي يحرص على تسجيل دروس الشيخ الألباني باستمرار على المسجلة (كاسيت)، ثم فُقدت تلك الشرايط في ظروفٍ معروفة.

- **أقوال أهل العلم فيه:**

قال عنه الشيخ محمد عيد العباسي: مصطفى خلوف أبو علي، من الإخوة الذين تسلَّفوا وناصروا الدعوة السلفية ونشروها بهمةٍ ونشاط.

وكان من جماعة الشيخ أحمد كفتارو -مفتي سورية السابق-، ثم هداه الله عَزَّوَجَلَّ للدعوة.

وكان نشيطًا جدًّا، وقد جعل بيته مركزًا لإقامة الدروس.

وكان أحدَ أعضاء اللجنة في جامع إبراهيم الخليل في مساكن بَرزة بدمشق، والذي بناه أحد الإخوة المناصرين للدعوة في بلدة التل، وأوكلَه للأخ خير الدين وانلي إمامةً وخطابة، فكان منطلَقًا قويًّا لنشر الدعوة السلفية في الحي، وشعَر جماعةُ كفتارو بالخطر، فكادوا وتآمروا، واستعانوا بالدولة حتى احتلوا المسجد بالقوة على طريقة العصابات، فالله حسيبهم.

وقصة ذلك: أنهم كانوا يكثرون الشغب والمعارضات على الشيخ خير الدين، وكان الذي يتولى كبر ذلك أحمد راجح، ولكن الشيخ خير الدين أبطل كثيرًا من مكايدهم.

ثم هداهم شيطانهم أخيرًا إلى أن يرفعوا شأنه إلى السلطات بأنه ضابط مُسَرَّح ومع ذلك يزاول الإمامة والخطابة والأعمال الدينية، ولا يحق له ذلك في قانون الجيش، فاستغلوا هذه المسألة، فجاء الأمر بعَزله من الإمامة والخطابة ومَنْعِه من ذلك.

فجاء إليَّ وأخبرني بما جرى، وطلب مني أن أقوم بالإمامةِ والخطابة بدلاً عنه، وقال لي: أنت مدَني ولا حُجة لهم عليك، فباشرتُ أعمال الإمامة والخطابة في ذلك المسجد.

ومع ذلك ما ضعفوا ولا لانوا، واستمروا بتدبير المكايد؛ مكايد شتى لا يتسع المقام لذكرها، وكان آخرها: أنهم قاموا بجمع جموعهم، وحشدوا عددًا كبيرًا منهم في المسجد، وهجموا عليَّ وأنا واقف لأؤم الناس في الصلاة؛ فحملوني وألقوني آخر المسجد.

وهكذا فعلوا، حيث حَلَّ كبيرهم أحمد راجح -وهو يلبس الجبة والعمامة- محلّي، ومن عادته أن يلبس (الطقم الرسمي؛ السترة والبنطال والكرافيته) إلا في المناسبات الدينية فيلبس ذلك اللباس، وطلب مني أن أضع له السجادة أمامه، فلم ألقِ له بالاً، وطلبتُ من أخينا مصطفى خلُّوف أن يقيم الصلاة، ولما وقفتُ في مقام الإمام وصففتُ الناس للصلاة، وكبّرت، فإذا به يوعز إلى جماعته بالهجوم علي، فهجموا وحملوني وأخّروني إلى آخر المسجد، فقاومهم بعضُ السلفيين وأصحابُ النخوة من أهل الحي، وحصَلَت فتنة ومضاربات وصراخ داخل المسجد.

ثم وقف كبيرهم أحمد راجح وجعل يقول: ماذا جرى لكم يا إخوان! الأمر بسيط، الحسَن أخو الحسين، فقلت لإخواننا فيما بعد: الصحيح أنه ليس الحسن والحسين، بل هو مثل قابيل الذي قتل هابيل، وهكذا غصَبونا المسجد.

وخرجنا إلى بيت أحد إخواننا وأكملنا صلاتنا، وإذا بأخٍ حموي يقول: ما رأيكم أن نتسلّح ونَدخل عليهم ونُخرجهم من المسجد كما أخرجونا؟ فقلت له: إن هذا لا يفيد، فإن معهم الشيخ كفتارو، وهو قريبٌ من الدولة، ومن السهل جدًّا أن يتصل بالمسؤولين ويدبروا لنا التُّهَم ويعتقلونا، وما ندري متى نخرج من السجن.

ثم جاءنا أحد الإخوة وأخبرنا أن أحمد راجح خطب في أصحابه وقال لهم: لقد قضينا على الوهابية وأصبح هذا الجامع لنا، وأمرَهم بتغيير أقفال أبواب المسجد، وهكذا تكون البطولة عند هؤلاء!

وقد سبق لهم فعل مثل هذا مع الدكتور أمين المصري في جامع المرابط بالمهاجرين، وكذلك مع الدكتور أديب الصالح في مسجد الجامعة السورية.

قلت: ومن مثل هذه الحوادث وغيرها نعلم مَن الذين كانوا يثيرون الفتن في البلاد؛ آلسلفيون المتَّبِعون أم خصومهم المتعصبون؛ الذين هم كما قالت العرب: رمتني بدائها وانسلّت.

وقد التقيتُ مع الشيخ أبي علي خلوف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في وليمة عرسٍ لأحد إخواننا بدمشق، وقد تقدم ليؤمَّنا في صلاة العشاء بحضرة شيخنا عبد القادر الأرناؤوط، فجبَذه شيخنا الأرناؤوط من ثوبه، وقال له: يا أبا علي لقد كبرت سني أنا وأنت، فاترك المجال للشباب، فتقدم الشيخ فايز الصلاح فأمَّ المصلين.

وقال الشيخ فايز الصلاح: كنت أتردد عليه في برزة وأنا شاب عزَب في العشرينات من عمري، وأزوره في بيته ومطعمه، وهو رجلٌ فاضل مؤمن طيب ومحب للشيخ الألباني وللدعوة، وكنت أسميه: (وزارة الإعلام السلفية) لكثرة ما يحفظه وينقله من الأخبار والقصص عن الشيخ الألباني والإستانبولي، وأخبار الدعوة في البلاد، ولم يكن متمكنًا في العلم، ولكنه يدعو بطريقة عامية سهلة، وكان متمسكًا بالهدي الظاهر واللحية حتى في أثناء أحداث الإخوان، وكنت أرتاح لمجالسته، وكان صاحب دعابة.

وأخبرني بعض أصحابه الدماشقة فقال: هو الشيخ الفاضل صاحب السنة والأثر، وكان والدي كثير الإجلال له والمحبة؛ لاستمساكه بالهدي النبوي بحزم وقوة، وكانا يديان التزاور.

وكان ملازمًا لدروس الشيخ الألباني، وله مجالس كثيرة مع الشيخ عيد عباسي وسعيد البستاني وأبي حمدي الجزائري ونزار القادري؛ يتذاكرون فيها العلم، وقرؤوا العديد من الكتب العلمية، مما أورث عنده مشاركة جيدة في العلم، وكان يعظِّم حق أقرانه، ويجلُّهم ويتأدب معهم، ولا يكاد يتكلم بحضورهم إكرامًا لهم.

وكان متمسكًا بالهدي النبوي معظمًا له في مظهره ومخبره، ومدخله ومخرجه وممشاه، وكان رمزًا في ذلك، إذا رأيته رأيت السنة متمثلةً في هديه وسمته.

وكان كريمًا جوادًا، مُكرِمًا لأهله وجيرانه وأصحابه، دائم البشر، كثير الود.

وكان صابرًا محتسبًا على خشونة العيش وقلة ذات اليد في أوائل هجرته إلى دمشق، حتى بسط الله له في الرزق في أخريات حياته، وصابرًا على الدعوة إلى التوحيد والسنة، وقد ابتلي لأجل ذلك، وسجن مرة، وحُقق معه مرات كثيرة.

وكان للشيخ أبي علي عناية خاصة بالشباب يدعوهم ويعلمهم ويتقرب منهم، وله عناية بالأطفال يكرمهم ويعلمهم معاني التوحيد، ويُسمعهم الأحاديث النبوية الموجهة إليهم، ويعظم توحيد الله في نفوسهم ويربيهم على ذلك، وكان شديد الغيرة عل جناب التوحيد.

وقد ضحى الشيخ أبو علي كثيرًا وتعب وسافر لأجل تنشيط الدعوة منذ أوائل القرن الخامس عشر وحتى وفاته، وكانت له جهود عظيمة في الدعوة، يعرفها كل من اتصل به وعرفه من طلاب العلم، وكان سحابة خير منهلة.

- **وفاته:**

أصيب أبو علي خلوف بمرض السرطان قبيل وفاته، وتوفي بدمشق ليلة الخميس ٢٤ رجب سنة ١٤٣٣، يوافقه ٢٠١٢م رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد بلغ الخامسة والسبعين من العمر، وصلي عليه صباح الجمعة، ودفن في (مقبرة نَجْها) العامة.

وقد تزوج أبو علي بأم علي بنت محمد بن علي محمد العقيدي، فأنجبت له ثلاثة ذكور، وهم على الترتيب: علي (بكالوريوس شريعة من جامعة الإمام، وله بعض المصنفات والبرامج المرئية)، وعبد الرحمن (مهندس كهرباء)، وعبد الله، وخمس بنات.

ثم تزوج بأم محمد من قرية ميدعا، ووُلد له منها: سعد، وحمزة، وسارة، حفظهم الله جميعًا.

ومن خبر هاتين الزوجتين: أنهما عاشتا معًا في بيت واحد كأختين متحابتين، وهذا من التوفيق، وأم علي كانت امرأة فاضلة وصاحبة دين متين وخلقٍ عال، وإذا كلمت النساء تقول لإحداهن: كيف دينك وإيمانك، وهذه الغيرة والديانة من أثر تعاهد زوجها أبي علي لأهل بيته.

إعداد: حسام بن محمد بن عبد الرحيم سيف
أبو عمر الضُّمَيري الدمشقي
(النشرة الأولى: ذي الحجة ١٤٤٣)